ISSN : 2543-3938 - EISSN : 2602-7771

الفكر الأخلاقي في التراث العربي الإسلامي
(قراءة في كتاب العقل الأخلاقي العربي لمحمد عابد الجابري)

Ethics thought in the Arab-Islamicheritage (Reading in thebook: Arab Ethical Reason, Of Mohammed Abed Al-Jabri)

يموتن علجية [1,*]، رريب الله محمد [2]

[1] جامعة محمد بن أحمد –وهران2، (الجزائر)، yamoutenm@gmail.com

[2] جامعة محمد بن أحمد –وهران2، (الجزائر)، reriballahmo@gmail.com

تاريخ الإستلام: 09/ 08 / 2020 تاريخ القبول: 10/ 10 / 2020 تاريخ النشر: 10/ 10 / 2020

ملخص:

يحاول الجابري في كتابه " العقل الأخلاقي العربي" الكشف عن نظم القيم التي سادت في الثقافة العربية الإسلامية ، مؤكدا أن هذه الثقافة قد عرفت عدة نظم من القيم وليس نظاما واحدا، وعلى هذا الأساس يميز بين خمس نظم للقيم متنافسة ومتصارعة في الثقافة العربية الإسلامية وهي : قيم الموروث الفارسي ، قيم الموروث اليوناني، قيم الموروث الصوفي ، قيم الموروث العربي الخالص و قيم الموروث الإسلامي الخالص .

وسنحاول في هذه الدراسة الوقوف عند الانظمة القيمية في الثقافة العربية الاسلامية : نشأتها ، تطورها، وتصارعها و تنافسها .

الكلماتالمفتاحية:*الأخلاق؛التراث العربي؛ الثقافة العربية ؛ العقل؛العقل العربي؛ نظم القيم.*

***

Abstract:

In his book "Arab Ethical Reason ", Al-Jabri tries to reveal the value systems that prevailed in Arab-Islamic culture, Al-Jabriconfirms that this culture has known several systems of values, On this basis, Al-Jabriclassifies five conflicting value systems in Arab Islamic culture: the values of the Persianheritage, the values of the Greek heritage, the values of the Sufi heritage, the values of the pure Arabheritage and the values of the pure Islamicheritage.

In thisstudy, wewilltry to determine the formation and the development and conflict of value system in ArabIslamic culture .

Keywords: *Arab culture;Arab heritage; Arab Reason; Ethics; Reason; Value Systems.*

[*] المؤلف المرسل

مقدمة

يتناول الجابري في كتابه (العقل الأخلاقي العربي) جانبًا من العقل العملي ،أعني الفكر الأخلاقي ، والذي يهتم فيه بالخطاب الأخلاقي أساسًا، فلا يولي الجابري اهتمامًا بالأخلاق المطبقة، بل يرى أن ذلك مجال اهتمام علماء الاجتماع والأنثروبولوجيا ، وإنما يركز اهتمامه على الأخلاق " كما كانت موضوعًا للتفكير وموضوعًا للتكريس على مستوى الخطاب"(الجابري، 2001، صفحة 131)

ويحاول الجابري الكشف عن نظم القيم التي سادت في الثقافة العربية الإسلامية ، ولا يعني بنظام القيم " مجرد خصال حميدة يتصف بها الفرد فتكون خلقًا له ، بل هو بالدرجة الأولى معايير للسلوك الاجتماعي والتدبير السياسي ومحددات لرؤية العالم واستشراف المستقبل"(الجابري، 2001، صفحة 56)

وفي قراءته للعقل الأخلاقي يتبع الجابري منهج التحليل التاريخي والمعالجة البنيوية والطرح الأيديولوجي . فيتناول كل نظام من أنظمة القيم التي سادت في الثقافة العربية الإسلامية من خلال " القيمة " المركزية التي تنتظم مختلف القيم فيها، أي التعامل مع كل نظام كبنية ، أما الجانب التاريخي التكويني فيكون من خلال البحث في أصول وفصول كل نظام .

ومن أجل الوقوف على القيمة المركزية في كل نظام يعتمد الجابري على دليل الحضور والغياب، فهو يركز على القيم الغائبة في الموروث اليوناني مثلاً، في حين كان لها حضور قوي في الموروث الفارسي؛" فإن مثل هذه القيم التي تحضر في موروث و تغيب في آخر، والتي تعكس بهذا الحضوروالغياب نمط المجتمع وأسلوب حياته أو " روح العصر " في حقبة زمنية معينة، هي التي سنركز عليها بوصفها قيمًا مركزية في هذا الموروث أو ذاك ". (الجابري، 2001، صفحة 497)

أما الرؤية التي يصدر عنها الجابري فتتحدد بمبدأين :

أولهما: النظر إلى العقل الأخلاقي العربي لا كعقل فردي بل كعقل جماعي ، وهذا لا يعني إهمال الفرد ولكن النظر إليه بوصفه عضوًا في جماعة ، أي التعامل مع العقل الأخلاقي العربي "كنظام للقيم يوجه سلوك الجماعة، سلوكها الفكري و الروحي، وسلوكها العملي " .(الجابري، 2001، صفحة 24)

وثانيهما : التعامل مع نظم القيم في الثقافة العربية الإسلامية بوصفها " عبارة عن قيم أخلاقية من أجل " السياسة " ، السياسة بمعنى تدبير الجماعة "(الجابري، 2001، صفحة 24)أي بوصفها موجهة لسلوك الجماعة ، سواء أكانت هذه الجماعة دولة أم حركة معارضة لها أم جماعة دينية .

وسنحاول في هذه الدراسة الوقوف عند الانظمة القيمية في الثقافة العربية الاسلامية كيف نشأت؟ وكيف تطورت؟ وكيف تصارعت و تنافست؟ وما المرجعية الكبرى التي كانت ولا تزال المؤسس للخطاب الأخلاقي في الفكر العربي ؟

نظم القيم في الثقافة العربية

في تحليله للعقل الأخلاقي العربي يحاول الجابري الكشف عن نظام القيم في الثقافة العربية الإسلامية، مؤكدًا أن هذه الثقافة " قد عرفت عدة نظم من القيم و ليس نظامًا واحدًا . إذن "العقل الأخلاقي العربي" هو عقل متعدد في تكوينه و لكنه واحد في بنيته".(الجابري، 2001، صفحة 22)أي أن نظام القيم في الثقافة العربية الإسلامية هو محصلة لنظم القيم الخاصة بالموروثات الثقافية التي انتقلت إلى الحضارة العربية الإسلامية. فمنذ عصر التدوين والثقافة العربية الإسلامية مسرح تلتقي فيه عدة موروثات، هذه الموروثات التي حملت معها نظام القيم الخاص بها منذ أواخر العصر الأموي، حتى إذا بلغ عصر التدوين أوجه في القرن الرابع الهجري و اكتمل حضورها، برزت كنظم للقيم متنافسة متصارعة . وعلى هذا الأساس يميز الجابري في العقل الأخلاقي العربي بين

خمس نظم للقيم متنافسة ومتصارعة وهي : قيم الموروث الفارسي، قيم الموروث اليوناني، قيم الموروث الصوفي، قيم الموروث العربي الخالص، وقيم الموروث الإسلامي الخالص .

والجدير بالذكر أن الجابري يؤكد أن محاولة تشييد نظام القيم خاص بالموروثيين العربي والإسلامي قد جاء في مرحلة متأخرة، وبعد أن تغلغلت في الثقافة العربية الإسلامية نظم القيم الخاصة بالموروثات الأخرى الوافدة (الفارسي ، اليوناني ، الصوفي)، و كنوع من رد الفعل على هيمنة هذه النظم. ويحاول الإحاطة بالظروف التي كانت وراء دخول نظم القيم الأجنبية إلى الثقافة العربية الإسلامية ، مؤكدًا أن لجوء أي فكر إلى نظام للقيم قبل أن يعي ضرورة " كتابة" نظام للقيم خاص به دليل على وجود أزمة، حيث يقول : " كانت هناك أزمة في القيم ، هي التي فسحت المجال لتسرب قيم خارجية أو لاستيراد إيرادي لنوع من القيم ، من هذا الطرف أو ذاك للاستعانة بها في الصراع الذي أفرز أزمة القيم تلك".(الجابري، 2001، صفحة 60)ومن الملاحظ أن الجابري ، و مثلما تحدث عن أزمة على مستوى العقل النظري (أزمة تداخل وتصادم نظم المعرفة الثلاثة : البيان ، العرفان ، البرهان) يتحدث الآن عن أزمة على مستوى العقل العملي (الأخلاقي)، أزمة في القيم ، لكن الأزمة في العقل النظري كانت بعد أن اكتمل بناء هذا العقل، أما بالنسبة للعقل الأخلاقي ، فالأزمة كانت حتى قبل أن يتشكل، أو بتعبير آخر كانت وراء تشكله .

1. قيم الموروث الفارسي

يذهب الجابري إلى أن نقل الموروث الفارسي إلى الثقافة العربية الإسلامية إنما تم في عهد الأمويين، أما عن القيم التي يحملها هذا الموروث والتي أسهمت في تشكيل نظام القيم في هذه الثقافة، فيسميها الجابري قيمًا كسروية؛ لأن " الملك في هذه الأخلاق هو القيمة العظمى".(الجابري، 2001، صفحة 166)والتي تجعل من طاعة السلطان القيمة المركزية. أما القيم الأخرى فتندرج نزولاً من أقرب الناس إلى الملك (الوزير، الكاتب)إلى العامة، وتقوم أخلاق الطاعة على اعتبار أن الدين والملك توءمان، فالدين عماد الملك والملك حارس الدين.

وما يستنتجه الجابري من دراسته لهذه الأخلاق هو تغيب الفرد كقيمة في ذاته ، ذلك أن "القيمة هي الدولة وليست الفرد، الفرد لا قيمة له، هو مجرد ذرة في أحد مكونات الدولة:الطبقات. ومن هنا كانت الأخلاق واحدة من ثلاث : إما أخلاق السلطان وإما أخلاق الخاصة ، وإما أخلاق العامة. أما أخلاق السلطان فتقوم على التفرد والتعالي، وأما أخلاق الخاصة فتقوم على الخدمة والحذر، وأما أخلاق العامة فعلى الصبر والطاعة.(الجابري، 2001، صفحة 253)

أما لماذا وكيف انتقلت قيم الطاعة إلى الثقافة العربية الإسلامية ؟ فيجيب الجابري أن الدولة الأموية عندما دخلت مرحلة الهرم و كثرت عليها الفتن احتاجت إلى توظيف أخلاق الطاعة بعد إلباسها لباسًا إسلاميًا لصرف الناس عن الثوار، وذلك عن طريق ما يعرف بالترسل الذي كان "أول صيغة من صيغ التأليف في "الأخلاق " في الثقافة العربية الإسلامية ".(الجابري، 2001، صفحة 137)فالترسل في نظر الجابري:خطاب بلاغي يجمع بين أدب اللسان وأدب النفس أوجد من أجل نشر قيم الجبر والطاعة التي كانت تشكل أساس الأيديولوجيا الأموية، ويقول :"إن أول قيمة أخلاقية سياسية/ دينية كرسها خطاب الترسل في الثقافة العربية هي الطاعة : طاعة الخليفة الذي أصبح داخل هذا الخطاب مقرونًا بالله عز وجل : الخليفة خليفة الله و طاعته من طاعة الله ". (الجابري، 2001، صفحة 137)ومن الذين عملوا على تكريس قيم الطاعة داخل الثقافة العربية الإسلامية بالاعتماد على خطاب الترسل عبد الحميد الكاتب، وسالم عبد الرحمن.

وإذا كانت الدولة الأموية بدأت في مجال الأخلاق بخطاب الجبر وانتهت بخطاب الطاعة، فإن الدعوة العباسية ستبدأ بخطاب الطاعة حتى قبل أن تصبح دولة ،" ذلك أنه أمام تعدد مكوناتها وتنافس بل وصراع الفئات المنخرطة فيها لم يكن من الممكن تحقيق نوع من " الإجماع " على من سيكون "الخليفة " بعد نجاح الثورة،

فكان الحل هو رفع شعار " الرضا من آل محمد ". الذي يعني تقديم الطاعة مسبقًا لمن سيقع الاتفاق عليه بعد انتصار الثورة من آل محمد ، إن هذا يعني إعطاء الأولية للطاعة على المطاع ".(الجابري، 2001، صفحة 252)ويشير الجابري إلى أن ابن المقفع يأتي على رأس الذين عملوا على ترجمة ونشر القيم الكسروية وأيديولوجيا الطاعة في الثقافة العربية الإسلامية، وذلك عن طريق سلاح الكتاب، بل ويعدُّه "المشرع للدولة الكسروية في بلاد الإسلام، وهي الدولة التي مازالت قائمة إلى اليوم، باسم دين الإسلام في الغالب".(الجابري، 2001، صفحة 194)

ويتوقف الجابري عند كتب ابن المقفع والتي عن طريقها انحدر إلى الثقافة العربية الإسلامية ماعرف بالآداب السلطانية ، والتي تدور حول طاعة السلطان وأخلاقه .ثم يأتي على ذكر الكتاب الذين عملوا على الترويج للقيم الكسروية عن طريق ماعرف بسوق الأدب، أي التي تجمع بين ألوان من أدب اللسان وألوان من أدب النفس، وتعرض مادة ضخمة من الحكم والأمثال والأخبار، ومنهم ابن قتيبة في كتابه (عيون الأخبار)، وابن عبد ربه الأندلسي في كتابه (العقد الفريد). واللافت للانتباه أن الجابري يحكم على هذين الكتابين بأنها يكرسان قيم الطاعة الكسروية اعتمادًا على بنية الكتابين، وليس على مضمونهما، ولمجرد أن تبويب الكتابين يبدأ بالسلطان، على الرغم من أنه ليس فيهما ما يشير إلى الترويج للقيم الكسروية ، أو ما يتعارض مع القيم الإسلامية .

ولعل من المفيد الإشارة إلى أن ما عرف بأخلاق الطاعة كان معروفًا قبل الاتصال بأدب الفرس وثقافتهم ، فلقد ورد ذكر طاعة الحكام (أولي الأمر) في القرآن الكريم – وإن جاءت مشروطة بتقوى الله – كما ترددت في خطب الخلفاء الراشدين ، يقول أبو بكر الصديق (ﷺ) :"أطيعوني ما أطعت الله فيكم فإذا عصيته فلا طاعة لي عليكم "،(الطبري، 1995، صفحة 238)و يقول علي بن أبي طالب (ﷺ) " أما بعد، فإن لي عليكم حقًا، وإن لكم عليّ حقًا، فأما حقي عليكم فالنصيحة لكم ما صحبتكم، وتوفير فيئكم عليكم، وتعليمكم كيما لا تجهلوا، وتأديبكم كي تعلموا. وأما حقي عليكم فالوفاء بالبيعة والنصح لي في الغيب و المشهد والإجابة حين أدعوكم، والطاعة حين أمركم، فإن يرد الله بكم خيرًا انتزعتم عما أكره، وتراجعوا إلى ما أحب تنالوا ما تطلبون، وتدركوا ما تأملون ".(الطبري، 1995، صفحة 124)

كما أن تأكيد الجابري أن السبب في اختراق قيم الموروث الفارسي للثقافة العربية وهو سبب سياسي بالدرجة الأولى(وهذا ما يسميه كمال عبد اللطيف بطغيان الهاجس السياسي(عبد اللطيف، 2003، الصفحات 92-97)، فقيم الطاعة التي يكرسها الموروث الفارسي كانت تشكل أساس الأيديولوجيا الأموية والعباسية، جعل الجابري لا ينظر إلى الأسباب الأخرى التي عملت على انتشار قيم الموروث الفارسي في الثقافة العربية ، ومنها تلك التي أشار إليها أحمد أمين في معرض حديثه عن سرعة تأثر المسلمين بحكم الفرس، المقارنةً مع تأثرهم بالفلسفة اليونانية ، حيث يرى أن حكم الفرس المصوغة في جمل قصار كانت أقرب إلى العقل العربي ؛ لأن العقل العربي لا يميل إلى البحث المنظم و المفصل، ويفضل أن تركز تجارب السنين الطويلة في الكلمات القصار، ويلاحظ أن الذوق العربي في هذا النوع من الحكم يشبه مشابهة تامة الذوق الفارسي (احمد، 1979، صفحة 118)

2. قيم الموروث اليوناني

ارتبطت الأخلاق في الموروث اليوناني بالفلسفة ، وتميزت بالاهتمام بالفرد المواطن وليس بالملك ، وكانت القيمة المركزية في نظام القيم الخاص بهذا الموروث هي السعادة ، ويقتصر الجابري على ثلاث مرجعيات في الموروث اليوناني اعتمدها الفكر الأخلاقي العربي وهي : أفلاطون وأرسطو وجالينوس.

يرى أفلاطونأن السعادة تكون في تحقيق العدالة بين قوى النفس الثلاث:الشهوانية، الغضبية، العاقلة، لكن بما أن الإنسان لا يستطيع أن يعيش بمفرده فإن سعادته تتوقف على تحقيق السعادة في المدينة الفاضلة ، وذلك بتحقيق العدالة بين القوى التي تتكون منها المدينة : الرؤساء، الجند، الحرفين.(الجابري، 2001، صفحة 260)

أرسطو بدوره جعل السعادة هي موضوع علم الأخلاق ، وربط بين السعادة والفضيلة، والفضائل عنده نوعان، فضائل فكرية مثل الحكمة والعقل، وهي تخص النفس الناطقة، وفضائل خلقية مثل العفة والشجاعة وهي تخص النفس غير الناطقة، ويحدد الفضيلة أنها وسط بين رذيلتين، الإفراط والتفريط، ويربط بين الأخلاق والسياسة، ذلك أن الإنسان مدني بطبعه والسياسة هي التي ترمي إلى تحقيق سعادة المجتمع ككل، وذلك عن طريق سيادة القانون.(الجابري، 2001، صفحة 266)

أما جالينوس الذي تأثر تأثرًا كبيرًا بأفلاطون، والذي يعتقد الجابري أنه تعرض للإهمال من قبل الباحثين في مجال الفكر الأخلاقي العربي، فقد اشتهر بالقول إن الأخلاق تابعة لمزاج البدن "فالخلق هو حال للنفس داعية الإنسان إلى أن يفعل أفعال النفس بلا روية ولا اختيار"(الجابري، 2001، صفحة 284)فالخلق يصدر عن النفس الشهوانية والنفس الغضبية ولكن قد تصدر الأفعال عنهما من غير اعتدال وعندها تتدخل النفس الناطقة لإعادة الاعتدال .

وبناءً على هذه المرجعيات الثلاثة يميز الجابري في الفكر الأخلاقي العربي المنتمي إلى الموروث اليوناني بين ثلاثة اتجاهات :

- نزعة طبية علمية (مرجعيتها جالينوس).
- نزعة فلسفية (مرجعيتها أفلاطون وأرسطو).
- نزعة تلفيقية (تقتبس من المرجعيات الثلاثة دون تمييز بين الصحيح والمنحول).

أما النزعة العلمية فهي النزعة التي شيدت الأخلاق على العلم وارتبط المنتمون إليها بجالينوس، واتخذوا الطب نموذجًا لهم، فنظروا"إلى السعادة نظرة الطبيب إلى الصحة، فلما كانت سعادة الإنسان من الناحية الجسمية تكمن في الصحة فكذلك سعادته من الناحية النفسية والاجتماعية إنما تكمن في صحته النفسية / الأخلاقية ".(الجابري، 2001، صفحة 423)

ويتناول الجابري ضمن هذه النزعة الكندي، حيث يذهب إلى أنه أول من تنبه إلى تأثير جالينوس عليه، ويتناول رسالته (في دفع الأحزان)، التي يشرح فيها أسباب الحزن وطرق الوقاية منه، ويستنتج الجابري بناءً على العلاقة التي تتنبه إليها بين الكندي وجالينوس إلى" أن أول ما انتقل إلى الثقافة العربية من الموروث اليوناني في مجال القيم والأخلاق هو تلك النزعة الطبية الفيزيولوجية التي كرَّسها جالينوس في هذا المجال من خلال قراءة أخلاق أفلاطون قراءة طبيب لا قراءة فيلسوف ".(الجابري، 2001، صفحة 293)

فضلاً على ذلك يتناول الجابري ضمن هذه النزعة أبو بكر الرازي (ت 311 هـ) وكتابه (الطب الروحاني) الذي يرى فيه قرين الطب الجسماني لجالينوس، ويقسم أراءه الأخلاقية إلى قسمين : قسم طبي ويجد مرجعيته في جالينوس ، وقسم نظري مؤطر بخلفيه عرفانية هرمسية، يدور حول خلاص النفس من الامتزاج بالبدن، وعودتها إلى عالمها الأصلي، إلى النفس الكلية. (الجابري، 2001، صفحة 295)والغريب في الأمر أن الجابري الذي يضع الرازي مع أصحاب النزعة العلمية سبق وأن حكم عليه في كتابه (تكوين العقل العربي) بالظلامية والغنوصية .

ومن الذين تبنوا النزعة العلمية كذلك ثابت بن سنان في (تهذيب الأخلاق)الذي يرى الجابري أنه " ذهب بطب الأخلاق إلى أقصى مدى، إلى أبعد مما رأينا عند جالينوس والرازي "(الجابري، 2001، صفحة 306)،كما أنه دعا إلى إنشاء بيمارستان (مستشفى) خاص لطب الأخلاق على غرار بيمارستانات طب الأبدان .

وإلى نفس النزعة العلمية الطبية المرتبطة بجالينوس ، ينتمي كتاب (تهذيب الأخلاق) الذي ينسبه الجابري لابن الهيثم ، في حين نسبه دارسون قبله لحي بن عدي أو للجاحظ أو لابن عربي . وهذا الكتاب عند الجابري " يقع في أفق " طب الأخلاق " أو "الطب الروحاني فهو يتبنى تعريف جالينوس للخلق، ويبني الأخلاق على

قوى النفس (الشهوانية و الغضبية و الناطقة) ويفهم " تهذيب الأخلاق " من منظور الطبيب الذي يشخِّص المرض و يعيِّن الدواء ". (الجابري، 2001، صفحة 322)

وعلى الرغم من تأثر أصحاب النزعة العلمية الطبية بجالينوس في نظر الجابري ، فإنهم لم يكونوا مجرد مقلدين له ، بل عملوا على تجاوزه . ونلمس ذلك من خلال دعوة ثابت بن سنان إلى إنشاء مستشفيات لعلاج ذوي الأخلاق المنحرفة، ودعوة الرازي للرفق بالحيوان، والنزعة الإنسانية التي تبدو عند ابن الهيثم، الذي رهن الكمال الإنساني بمحبة الناس بعضهم بعضًا .

غير أن أهم ما يكشف عنه الجابري عند أصحاب النزعة العلمية هو خلو تفكيرهم من القيم الكسروية، ويقول : " إن القيمة الوحيدة في " طب الأخلاق " هي الفرد الإنسان، تمامًا كما هو الحال في " طب الجسد " وكما لا يختلف جسد الأمير أو الملك عن جسد مطلق الناس فكذلك الأخلاق ، فالفضائل فضائل في الجميع والرذائل كذلك ".(الجابري، 2001، صفحة 343).

ومن المعلوم أن هذه النزعة العلمية التي مثلها الجابري بالكندي والرازي وابن سنان وابن الهيثم، وحاول إثبات انتمائها إلى أخلاق الطب كما عبر عنها جالينوس، إنما تجد مرجعيتها الأولى عند أفلاطون، كما أن محاولة أصحاب هذه النزعة معالجة الأخلاق من منظور الطبيب إنما يعود في نظري إلى مهنة الطب التي زاولوها .

وينتقل الجابري إلى النزعة الفلسفية التي تستمد مرجعيتها من أفلاطون وأرسطو ممثلةً بالفارابي وابن باجه وابن رشد، فلقد بحث الفارابي في السعادة متأثرًا بأرسطو، ولكن السعادة التي اهتم بها لا سعادة جميع الناس وإنما السعادة الخاصة بالفيلسوف، جاعلاً آخر ما اهتم به أرسطو في(الأخلاق إلى نيقوماخوس) بداية له، وإن كان أرسطو ينتقل من الأخلاق إلى السياسة ؛ لأن تطبيق الأخلاق يتطلب وجود قوانين تسنها وتسهر على تطبيقها الحكومة ، فإن الفارابي ينتقل من الميتافيزيقا إلى السياسة ، من نظام الكون الذي رسمه معتمدًا على مرجعية أفلاطونية محدثة (هرمسية – حرانية) إلى المدينة الفاضلة . فالفارابي ، كما سبق أن أكد الجابري - "شيد مدينته الفاضلة على غرار مدينته الإلهية، مدينة الكون ". (الجابري، 2001، صفحة 357)وهذا يقتضي وضع رئيس المدينة البشرية (النبي – الفيلسوف) في المنزلة نفسها التي لرئيس المدينة الإلهية.

ويترتب على هذا في نظر الجابري نتائج خطيرة على المستوى القيم، ذلك أن الاهتمام بسعادة الفيلسوف؛ لأنه"هو الذي يكون أولاً، وينشئ المدينة الفاضلة ويضع قوانينها ويرتب طبقاتها... إلخ، يضع القارئ وجهًا لوجه أمام " أردشير" أمام القيم الكسروية". (الجابري، 2001، صفحة 424)

بالإضافة إلى ذلك فإن الفارابي في مدينته الفاضلة والتي تأثر فيها بأفلاطون، غيَّب أهم مسألة عند هذا الأخير وهي العدل، وبهذا كان في نظر الجابري مكرسًا للاستبداد المطلق. وهذا ما يتضح عندما يشبه المدينة بالبدن، فيشبه رئيسها بالقلب، الذي بدونه لا تكون سائر أجزاء المدينة، كما لا غنى لسائر أعضاء البدن عن القلب.

وفي واقع الأمر، إن نظرية الفارابي في السعادة لم يتأثر فيها بأفلاطون وأرسطو فقط، بل تأثر كذلك بأفلوطين في مسألة الاتصال والزهد بالحياة والتشبه بالله، فغاية العقل الإنساني وسعادته عند الفارابي أن يتحد بعقل الفلك وهذا الاتجاه يقربه من الله، كما تأثر بالعقيدة الإسلامية في حديثه عن خصال رئيس المدينة الفاضلة، فرئيس المدينة عنده هو الإمام وهذا تعبير إسلامي،كما أنه هو رئيس الأمة الفاضلة وهي عنده الأمة الإسلامية.(الفارابي، 1968، صفحة 127)

أما ابن باجة الذي اهتم في(تدبير المتوحد) برسم الكيفية التي يكون بها الإنسان فاضلاً في المدينة غير الفاضلة، حتى إذا كثر أمثاله أمكن أن تنشأ منهم مدينة فاضلة، وابن رشد في (مختصر سياسة أفلاطون) والذي يعدُّه الجابري مكملاً للنقص الموجود في تدبير المتوحد(أي السياسة)،كما هو تدبير متوحد مكمل للنقص

الموجود في مختصر سياسة أفلاطون (أي الأخلاق)؛ فقد حكم عليهما الجابري قائلاً إننا "إزاء فكر سياسي وأخلاقي متحرر تمامًا من "أردشير " و القيم الكسروية و بعبارة أعم من أخلاق الطاعة ومتحرر كذلك من النزعة الصوفية ".(الجابري، 2001، صفحة 392)

ومرة أخرى نجد الجابري ينتصر للمغرب على المشرق ، و ينتصر لابن باجة و ابن رشد الذين تحررا من القيم الكسروية على الفارابي الذي ظل أسيرها ، و إن كان هذه المرة لا يتحدث عن قطيعة إبستيمولوجية كما سبق أن فعل في (نحن و التراث)

وأخيرًا يتناول الجابري النزعة التلفيقية التي مثلها مثقفو المقابسات، الذين اشتهروا بالخوض في موضوعات متنوعة والجمع بين عناصر تنتمي إلى موروثات مختلفة : الفارسي، اليوناني، العربي، الإسلامي. ويعرض لنا الجابري مؤلفات العامري ومسكويه التي لا تشكل في نظره سوقا في الأدب - كما سبق أن تعرفنا إليه من خلال ابن قتيبة وابن عبد ربه الأندلسي – ولكنها تشكل سوقًا للقيم، وخطورتها كما يقول الجابري:"في كونها تعرض القيم المتعارضة المتضادة في سياق واحد وتقدمها على أنها " القيم الأخلاقية والسياسية " التي يجب طلبها و العمل بها "،(الجابري، 2001، صفحة 397)فمسكويه ومن قبله أستاذه العامري لا يترددان في الجمع بين أراء أفلاطون وأرسطو وجالينوس وعناصر من الموروث الفارسي. هذا الجمع الذي رأى فيه الجابري "مفارقة خطيرة ".(الجابري، 2001، صفحة 419)ذلك أن نظام القيم في الموروث اليوناني يجعل السعادة قيمة مركزية له، في حين القيمة المركزية في نظام القيم الخاص بالموروث الفارسي هي الاستبداد، فالمفارقة الخطيرة في جمع العامري ومسكويه بين الموروث اليوناني والموروث الفارسي يترتب عليه الجمع بين القيمتين المركزيتين فيهما : السعادة والاستبداد .

وعلى الرغم من الصبغة اليونانية الواضحة في أخلاق العامري ومسكويه، وعلى الرغم من أن اقتباسهما من الموروث الفارسي لا يمثل إلا جزءًا بسيطًا من عملية واسعة من الاقتباس، فإن الجابري يصر على تأكيد هيمنة نظام القيم الكسروي لفكريهما، وهذا حتى يثبت زيف تلك الصورة السائدة عن مسكويه وعن كتابه(تهذيب الأخلاق) والتي تعدُّه قمة التأليف في الأخلاق في الثقافة العربية الإسلامية .

3. قيم الموروث الصوفي

يقرر الجابري أن مصدر القيم التي يحملها التصوف تجد أصولها في التصوف الفارسي، ذلك "أن ناقليه إلى الإسلام كانوا في الأصل أمراء من خراسان و فارس، لم يحققوا كل طموحهم في الإمارة والملك فاصطنعوا " الزهد " ليكونوا حسب تعبيرهم " ملوك الآخرة "، ولكن بعد أن نصبوا أنفسهم " ملوكاً في الدنيا " تحت اسم الولاية و القطبانية و الغوث...الخ.(الجابري، 2001، الصفحات 626-627)كما تجد هذه القيم أصولها في التصوف الهرمسي الذي انتشر في الإسكندرية وأنطاكية، لكن هذه العوامل الخارجية ما كانت لتؤدي إلى انتشار تلك القيم السلبية التي حملها الموروث الصوفي إلى الثقافة العربية لولا توفر عوامل داخلية ساعدت على ذلك، هذه العوامل يعبر عنها الجابري بأزمة القيم التي نجمت عن الفتنة الكبرى، وأدت إلى انقطاع البعض إلى الزهد والعبادة .

ويذهب الجابري إلى أن لفظ " الأدب " الذي شاع استخدامه في التصوف يختلف عن أدب اللسان وأدب النفس وأخلاق الطاعة وأخلاق السعادة؛ لأنه يقوم على قطع العلاقة بين المتأدب بالآداب الصوفية (المريد ، السالك إلى الله)، وبين المجتمع أو ما يعرف " بالتجرد من العلائق " ، وفي المقابل يقيم علاقات أخرى مع أطراف أخرى، هي: الله والشيخ المرشد والأصحاب.

ومن الملاحظ أن الجابري يرى أن القيم الأساسية في أدب الصوفية هي قيم كسروية وعلى رأسها الطاعة، وهذا يبدو واضحًا في علاقة الشيخ بالمريد التي شرحها أقطاب التصوف كالقشيري الذي يلح على النظر إلى الشيخ " كقائد تجب طاعته بشكل مطلق، طاعة ظاهرة بالجوارح، وطاعة باطنة بالقلب ".(الجابري، 2001، صفحة

494)فقد جعل المتصوفة من آداب السلوك إلى الله ميدانًا لتكريس سلطة الشيخ على المريد " سلطة لا يبررها شرع ولا عقل، بل تضع الامتثال لها فوق الشرع والعقل وتمارس أقسى أنواع الاستبداد الروحي والمادي.(الجابري، 2001، صفحة 626)وبالإضافة إلى الطاعة نجد التوكل وهو من القيم الأساسية في أخلاق التصوف، من المقامات التي يسلكها المريد في طريقه إلى الله حتى إذا استوفى جميع المقامات، يتحرر من عبودية التكليف ويلقي بنفسه في بحبوحة" الحرية " فيسقط عن نفسه التكاليف الشرعية، ويحررها من مشقة المجاهدة، لأن التكاليف الشرعية والمجاهدات لم تعد ذات معنى لأنه تجوهر، أي أن نفسه قد تم تطهيرها فصار جوهرًا.

هكذا يقرر الجابري أن أخلاق التصوف والتي تقوم أساسًا على الفناء، أي الفناء عن الأوصاف البشرية تنتهي إلى عكسها إلى فناء الأخلاق، وجميع المنطلقات التي ينطلق منها الصوفي ينتهي إلى عكسها، ينطلق من " الفردية التي لا ترتاح إلا للخلوة والعزلة، لينتهي إلى" الطريقة " التي تحيى حياة القطيع ، ينطلق من الثورة على رسوم الفقهاء، لينتهي إلى الانغلاق في رسم الطريقة، وهي أكثر وأكبر، ينطلق من الإقرار بالعبودية لله والتزام العبادة ولاشيء غير العبادة، لينتهي إلى الفناء في الله ، أو الاتحاد به ، والمعنى واحد، فيتخلص من العبودية والعبادة معًا ، ويدخل فضاء الحرية الكاملة فيتحرر من " رق " التكليف الديني والأخلاقي ".(الجابري، 2001، صفحة 488)

وبهذا يحكم الجابري على أخلاق التصوف- زيادة على أنها قيم كسروية - أنها أخلاق اللاعمل، وأنها كما يقول:" لا تنتهي إلى فناء الأخلاق وحسب، بل وإلى فناء الأمم، ولم يكن مصادفة أن قامت حركة الإصلاح في العصر الحديث على محاربة الطرقية ".(الجابري، 2001، صفحة 488)

وفي حقيقة الأمر، إن الجابري يبالغ في قوله أن مصدر القيم في التصوف الإسلامي فارسي بالدرجة الأولى، وأن قيمة الطاعة هي القيمة المركزية في التصوف؛ لأن التصوف وكما هو معلوم يدور حول الزهد، والزهد لم يكن خاصًا بالفرس، بل كان معروفًا في اليهودية والمسيحية وفي الإسلام قبل الاتصال بالفرس .

كما أن الجابري يذهب بعيدًا - ونتيجة أسلوبه في التعميم - في حكمه على المتصوفة بأنهم يسقطون التكاليف الشرعية، وأنهم ينتهون إلى فناء الأخلاق، ذلك أن المتصوفة ليسوا كلهم كذلك. يقول السري السقطي:" التصوف اسم لثلاثة معاني وهو الذي لا يطفئ نور معرفته نور ورعه، ولا يتكلم بباطن في علم ينقض عليه ظاهر الكتاب أو السنة، ولا تحمله الكرامات على هتك أسرار محارم الله ".(القشيري، 1995، الصفحات 45-46) بل حتى ابن سبعين – وهو من القائلين بالتجوهر – كان يوصي بالالتزام بالشريعة والأخلاق حيث يقول : " وخُذ نفسك بالسيرة الجميلة، والسنة السريرة الجليلة، وأحكام أحكام التجوهر، وصلاح الأحوال بالحكم الإلهية وبالتصديق التام والتصور والتأهب لقبول فيض نوره بحقيقة الاتصال " .(بن سبعين، 1956، صفحة 308)

4. قيم الموروث العربي الخالص

يذهب الجابري إلى أن التأليف في الأخلاق داخل الموروث العربي الخالص– ويقصد به الموروث المنسوب إلى العصر الجاهلي – تأخر إلى ما بعد عصر التدوين، إلى النصف الأول من القرن الخامس الهجري، وعلى يد مؤلف معروف بمؤلفات أخرى له في"أدب النفس " وأدب السياسة "، تنتمي بمادتها ومضمونها ونظام القيم الذي تكرسه إلى الموروث الفارسي،إنه أبو الحسن الماوردي، بينما ظهرت مؤلفات في الأخلاق والسياسة تنتمي إلى الموروث الفارسي منذ أوائل القرن الثاني الهجري، وأخرى إلى كل من الموروث اليوناني والموروث الصوفي في القرن الثالث، وهذا ما يبرر تأخير الحديث عن الموروث العربي الخالص حتى الانتهاء من الموروثات السالفة الذكر .

ويفسر الجابري هذا التأخر في التأليف في الأخلاق ضمن أفق الموروث العربي الخالص كذلك الموروث الإسلامي الخالص، على الرغم من ظهور مؤلفات في اللغة والنحو والفقه والحديث منذ أواخر القرن الأول الهجري،قائلاً:إن " الحاجة إلى التأليف في " الأخلاق " من منظور الموروث العربي" الخالص " والموروث الإسلامي

"الخالص"، فلم تكن لتظهر إلا بعد أن يحصل الوعي داخل المجتمع بخصوصية هذين الموروثين، بالمقارنة مع ما أُلِّف أو ترجم في الموضوع من الموروث الفارسي واليوناني والصوفي من جهة، وبحصول الوعي كذلك بإمكانية تخصيص مجال للأخلاق مستقل عن الفقه و"الأدب " أو مكمل لهما على الأقل ، من جهة أخرى ".(الجابري، 2001، صفحة 492)

والملاحظ أن الجابري يرجع التأليف في العلوم العربية، النظرية والعملية مثل علوم اللغة والفقه والأخلاق، إلى الحاجة، لكن إن كان دور الحاجة في تطور العلوم مما لا يمكن إنكاره، إلا أن حديث الجابري يجعلنا نعتقد أن كل العلوم العربية كانت ردَّ فعل ضد تهديد خارجي، فعلوم اللغة كانت بسبب تفشي اللحن في المجتمع العربي بعد أن أصبحت الأكثرية فيه غير عربية ، وعلوم البرهان كانت لصد هجمات العرفان.(الجابري، 2001)وكأن العلوم العربية لم تظهر و تتطور ذاتيًا نتيجة لازدهار الحضارة العربية الإسلامية .

أما بخصوص نظام القيم في الموروث العربي الخالص، فيؤكد الجابري أن القيمة المركزية فيه هي المروءة، ذلك أنها هي القيمة التي تنتظم حولها معظم القيم في الموروث العربي كالكرم والشجاعة والحكمة والوفاء، وما يؤيد في نظر الجابري اعتبار المروءة قيمة خاصة بالموروث العربي الخالص، أن كل الذين كتبوا عنها تكلموا عن شخصيات عربية من العصر الجاهلي وصدر الإسلام والعصر الأموي، ونادرًا ما ينقل أحدهم عن مراجع فارسية أو يونانية، بعكس القيم الأخرى كالسعادة والطاعة التي تحتل فيها المرجعيات اليونانية والفارسية المقام الأول .

وما يميز المروءة بوصفها جماع مكارم الأخلاق أنها لا تطلب لذاتها، بل تطلب لما ينتج عنها من رفعة وسؤدد، ولهذا نظر الجابري إليها على أنها " قيمة مركزية في الأخلاق الأرستقراطية ".(الجابري، 2001، صفحة 506)فشيخ القبيلة في المجتمع الجاهلي وهو الجامع لخصال المروءة كان يتمتع بسلطة معنوية يضاهي بها سلطة الدولة . كما راجت كلمة مروءة في العصر الأموي ، خاصة بعد أن تبنت أرستقراطية البلاطات – وهم كتاب الدواوين – أخلاق المروءة،" فكانت تعبيرًا عن التداخل الذي حصل بين قيم الموروث العربي وقيم الموروث الفارسي وكان ذلك هو قمة تطور أخلاق المروءة ".(الجابري، 2001، صفحة 624)

ليس هذا وحسب و إنما ظهر اتجاه عرف بـ" أدب الدنيا والدين " حاول أسلمة وتعريب أخلاق المروءة التي كانت قد تبنتها أرستقراطية البلاطات، ومن ممثلي هذا الاتجاه الماوردي في كتابه (أدب الدنيا والدين) . وإن كان هذا الكتاب ليس في أخلاق المروءة فحسب، فهو يخصص لها فصلاً فقط، ولكنه ينظر إليها كقيمة مركزية ، معتبرًا كتابه كله من شروط المروءة وحقوقها. ولقد عدَّ الماوردي المروءة من آداب الدنيا التي تقوم على المواضعة والاصطلاح، أي أنها قيمة اجتماعية فهي " سلوك اجتماعي محمود يقوم على مراعاة التقيد بما يستحسنه الناس وتجنب ما يستقبحونه "(الجابري، 2001، صفحة 530) ويجعل الماوردي من شروط المروءة شرف النفس وعلو الهمة، فبدون علو الهمة يكون الفضل الذي يورثه شرف النفس عاطلاً، والقدر الذي يمنحه لصاحبه خاملاً، أي أن المروءة ليست مطلوبة لذاتها، بل من أجل المكانة الاجتماعية التي تحققها لصاحبها، وهذا ما يسكت عنه الماوردي .(الجابري، 2001، صفحة 531)

ويختم الجابري حديثه عن أخلاق المروءة بوصفها نظام القيم في الموروث العربي الخالص بالإشارة إلى اهتمام مثقفي النهضة العربية الحديثة بهذه الأخلاق مثل الطهطاوي، وأحمد أمين، وشيخ الأزهر محمد الخضر حسين، والذين نظروا إلى المروءة بوصفها من الخصال التي تقتضيها النهضة، وهذا ما يجعل منها في رأي الجابري القيمة المركزية والخالدة في الفكر العربي، فلقد "بقيت تمثل في الفكر العربي، منذ العصر الأموي إلى اليوم، القيمة العليا التي لا تتحقق " المدينة الفاضلة العربية " بدونها ". (الجابري، 2001، صفحة 510)

5. قيم الموروث الإسلامي

ويقصد به نظام القيم الخاص بالموروث الإسلامي، النظام الذي يعتمد على القرآن الكريم والحديث الشريف، ويقر الجابري أن المسلمين مارسوا أخلاق القرآن ودعوا إليها وأذاعوها في الشعر والخطب والقصص. لكن العمل بالقيم والدعوة لها شيء والتأليف العلمي فيها شيء آخر، فإن كان الفقهاء قد اهتموا بمسائل تدخل في نطاق علم الأخلاق (الآداب الشرعية) إلا أن اهتمامهم كان شكليًا، وربما الاطمئنان إلى ما وضعه الفقهاء هو الذي أخَّر التأليف في الأخلاق داخل الموروث الإسلامي إلى حين اكتمال التأليف في أفق الموروثات الأخرى والشعور بالحاجة إلى علم أخلاق إسلامي، ولهذا تأخر التأليف داخل إطار الموروث الإسلامي إلى النصف الثاني من القرن الخامس الهجري .

ويذهب الجابري إلى أن التأليف في الأخلاق من منظور إسلامي، خارج مجال الفقه والآداب الشرعية إنما بدأ مع الحارث المحاسبي ومشروعه لتشييد علم " أخلاق الدين " .غير أن أخلاق الدين في نظر الجابري لا تؤسس كل الأخلاق الإسلامية ذلك أن الإسلام دين ودنيا ، وهذا ما اهتم به الماوردي في كتابة (أدب الدنيا والدين)،حيث يذهب إلى أن هناك " أخلاق شرع لها العقل فهي مشتركة بين الأمم وتشكل " أدب الدنيا " وأخلاق خاصة قررها الدين – والمقصود الدين الإسلامي – وتشكل " أدب الدين" وهما متداخلان ومتكاملان"(الجابري، 2001، صفحة 564) ، وجعل الماوردي المروءة محور أدب الدنيا والورع – بمعنى الزهد في ملذات الدنيا – محور أدب الدين.

ويتحول الجابري إلى الأصفهاني الذي كان ينظر له على أساس أبحاثه في اللغة والأدب، ولم يكن ينظر له كحامل لمشروع " أخلاق إسلامية " في كتابه (الذريعة إلى مكارم الشريعة) الذي حاول من خلاله أن يقدم مشروعًا لأخلاق إسلامية يقوم على الفصل بين أحكام الشريعة وهي مجال اختصاص الفقه ومبدؤها طهارة البدن ، وبين مكارم الشريعة ومجال اختصاصها الأخلاق " فمبدؤها طهارة النفس باستعمال التعلم واستعمال العفة والصبر والعدالة ونهايتها التخصص بالحكمة والجود والحلم والإحسان ".(الجابري، 2001، صفحة 571)

وطهارة النفس تكون بإصلاح القوى الثلاثة:إصلاح القوة الفكرية بالتعلم، وإصلاح الشهوة بالعفة، وإصلاح قوة الحمية (الغضبية) بالحلم، بإصلاح القوى الثلاثة يحصل للنفس العدالة والإحسا ، يبدو كما يقول الجابري :" أن الأمر يتعلق بقوى النفس كما حددها أفلاطون، وإن كان قد أضاف " الإحسان " إلى "العدالة " فلكي يربط فكر القارئ بالقرآن"إن الله يأمر بالعدل والإحسان" ".(الجابري، 2001، صفحة 577)

وعلى هذا الأساس يقرر الجابري أن مشروع الأصفهاني وإن كان قد تجاوز المحاولات السابقة، سواء منها محاولة المحاسبي أو محاولة الماوردي، إلا أن نقطة ضعفه هي أن البنية العامة التي اعتمدها هي بنية الأخلاق اليونانية . و من هنا " اتخذ المشروع صبغة " الأسلمة "، أعني إضفاء الطابع الإسلامي على المادة الأخلاقية، على صعيد المصطلح والمظهر ، مع بقاء البنية الأصل هي هي ".(الجابري، 2001، صفحة 625)

كما يتناول الجابري الأخلاق عند الغزالي، ويرى في (إحياء علوم الدين) امتدادًا تراجعيًا لمشروع إنشاء أخلاق إسلامية ، وينظر إليه على أنه نقل من المتصوفة ومن الأحاديث الضعيفة والإسرائيليات، بل وكذلك من الكتب التي حاولت أسلمة الأخلاق اليونانية كتهذيب الأخلاق لمسكويه، والذريعة إلى مكارم الشريعة للأصفهاني، ويصدر في النهاية حكمه على(إحياء علوم الدين) قائلاً : إنه"من أشد العناصر تخديرًا في نظام القيم في الثقافة العربية، ومن هذه الزاوية فهو أبعد ما يكون عن الأخلاق الإسلامية الحقيقية، بل مشروعه فيه انحراف عنها على طول الخط ".(الجابري، 2001، صفحة 522)

لكن المشروع الإسلامي الأصيل، المعبر بحق عن الأخلاق الإسلامية وعن قيمتها المركزية، الذي يعتمد القرآن والحديث الصحيح وحدهما مصدرًا له، هو مشروع العز بن عبد السلام، حيث يرى الجابري أن القيمة المركزية في الأخلاق الإسلامية، هي العمل الصالح ويبرر تأكيده هذا " أن قيمة القيم في كل دين هي " الإيمان " به

وبتعاليمه، غير أن الإيمان في الإسلام ليس من أجل الله، فالله غني عن العالمين، بل هو من أجل الإنسان. ومن هنا ورد لفظ " الإيمان " وما اشتق منه مقرونًا في القرآن، في الأغلب الأعم، بألفاظ وعبارات أخرى تشير إلى وجهته الاجتماعية ومضمونه الإنساني، ومن العبارات التي تتكرر في القرآن بعد لفظ " الإيمان " وكأنها ترتبط معه بعلاقة شرط بمشروط عبارة " العمل الصالح".(الجابري، 2001، صفحة 593)

وما يلاحظه الجابري في المحاولات السابقة لمحاولة العز بن عبد السلام هو غياب الحديث عن العمل الصالح، في مقابل كلام طويل عن الإيمان، وحده العز بن عبد السلام رجع إلى الأصل وفهم الدين على أنه إيمان وعمل صالح ، كما يؤكد ذلك القرآن. لقد جعل العز بن عبد السلام الغاية من الأخلاق هي الفكرة الإسلامية المعبر عنها في القرآن بالعمل الصالح، أو ما يعرف في الأدبيات الفقهية بجلب المصالح ودرء المفاسد، ويصنف أعمال الإنسان من حيث كونها جلبًا للمصالح أو درءًا للمفاسد إلى أربعة أنواع: حقوق الخالق، حقوق نفس الإنسان عليه، حقوق الناس بعضهم على بعض، حقوق البهائم على الإنسان .

أما الهيكل العام الذي أسس عليه العز بن عبد السلام خطابه الأخلاقي فلم يكن البنية اليونانية كما في المحاولات السابقة له، بل كان الهيكل نفسه الذي أسس عليه علماء الكلام خطابهم أي (الذات، الصفات، الأفعال)، فلقد قرر العز بن عبد السلام أن التخلق بأخلاق القرآن " تقوم على التحلي بما يمكن وما يجوز التحلي به مما جاء فيه في حق الله ذاتًا وصفاتًا وأفعالاً ".(الجابري، 2001، صفحة 608)

أما الذات الإلهية يجب التخلق إزاءها بخصائص العبودية كالذل والإذعان. أما الصفات الإلهية فهناك ما هو مختص بالله كالأزلية والأبدية مما لا يمكن التخلق به ؛ ولهذا يمنع العز بن عبد السلام " المماثلة بين الله وبين أحد من البشر مهما كان، حاكمًا أو محكومًا، فهو" لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ " [سورة الشورى الآية11] ، وهكذا تسقط القيم الكسروية جملةً وتفصيلا "(الجابري، 2001، صفحة 608)، وتبقى بعض الصفات والأفعال التي بإمكان الإنسان التخلق بها، كالعلم والعدل والإحسان.

تلك هي أخلاق العامل الصالح كما عرضها العز بن عبد السلام والتي تحرر فيها من تأثير الموروثات الأخرى ومن إغراءات الأسلمة، أسلمة أدب الفرس (الماوردي)، وأسلمة أخلاق اليونان(الأصفهاني)، وأسلمة أدب السلوك الهرمسي (الغزالي).والواقع أن العمل الصالح كقيمة عظمى موجودة عند كل المفكرين المسلمين.

خاتمة

وجملة القول إن الجابري ينتهي إلى إثبات نزعات وتيارات متنوعة في الفكر الأخلاقي في تراثنا العربي ، تنتمي إلى خمس موروثات ثقافية : الموروث الفارسي ، الموروث اليوناني ، الموروث الصوفي ، الموروث العربي الخالص ، الموروث الإسلامي الخالص . وإن كان هذا العمل الذي قام به الجابري دليلاً على غنى و تنوع الفكر الأخلاقي العربي ، و دحض رأي من ذهب إلى أن البحث في الأخلاق في التراث العربي الإسلامي مجرد امتداد لما نقله الفلاسفة العرب عن اليونان ، لكنه في الوقت ذاته يعبر عن غياب نظام واحد للقيم ، هذا الغياب الذي لا يزال نعانيه إلى يومنا ، فيذهب الجابري إلى أنه ومنذ الفتنة الكبرى لم تعرف الثقافة العربية نظامًا واحدًا للقيم ، بل كل ما عرفته هو سوق للقيم تتصارع و تتنافس فيه نظم للقيم تنتمي إلى موروثات متعددة.

وعلى الرغم من اختلاف المرجعيات المنتجة للقيم في الفكر الأخلاقي العربي ، فإن هناك مرجعية كبرى شكلت ولا تزال العمود الفقري المؤسس لخطاب الأخلاق في الفكر العربي و هي المرجعية الفارسية ، وقد سبق للجابري أن حدّد ملامحها العامة في كتابه (العقل السياسي العربي)، فأخلاق الطاعة والاستبداد هي الثابت البنيوي الذي لا يزال حاضرًا في خطابنا السياسي والأخلاقي ، وهذا ما عبر عنه الجابري في خاتمة كتابه (العقل الأخلاقي العربي) التي عنونها : " لم يدفنوا بعد أباهم أردشير " .

قائمة المصادر و المراجع

1. ابو القاسم عبد الكريم القشيري. (1995). الرسالة القشيرية ، تحقيق :عبد الحليم محمود و محمود بن الشريف (المجلد 1). القاهرة: دار المعارف.
2. ابو النصر الفارابي. (1968). آراء أهل المدينة الفاضلة ، تحقيق: ألبير نصري نادر (الإصدار ط2). بيروت: المطبعة الكاثوليكية.
3. ابو جعفر محمد الطبري. (1995). تاريخ الأمم و الملوك (المجلد 2). بيروت: دار الكتب العلمية.
4. ابو محمد عبد الحق بن سبعين. (1956). رسائل ابن سبعين، حققه وقدم له: عبد الرحمن بدوي. القاهرة: الدار المصرية للتأليف والترجمة.
5. امين احمد. (1979). فجر الإسلام. بيروت: دار الكتاب العربي.
6. كمال عبد اللطيف. (2003). أسئلة الفكر الفلسفي في المغرب97. بيروت: المركز الثقافي العربي.
7. محمد عابد الجابري. (2001). العقل الأخلاقي العربي، دراسة تحليلية نقدية لنظم القيم في الثقافة العربية ، (نقد العقل العربي 4) (الإصدار ط1). بيروت: مركز دراسات الوحدة العربية ،.